

أحبُّ عملٍ عند الله

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

أمَّا بعد:

فاتَّقوا الله - عباد الله - حقَّ التَّقوى، واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى.

أيُّها المسلمون:

خلق الله عباده وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة؛ ليُفردوه سبحانه بالعبادة، فبقي النَّاسُ بعد آدمَ عشرة قرونٍ يعبدون الله وحده، فزيّن الشَّيْطَانُ لبعض خلق الله عبادة الأصنام، فعبدوها؛ فأرسل الله الرُّسُلَ وأنزل معهم الكتب؛ ليرجع النَّاسُ إلى عبادة الله وحده، ومن رأفته بخلقه: جعل فطرهم موافقةً لما خلقهم له، فكلُّ مولودٍ يولد على فطرةٍ إفرادِ الله بالعبادة، وأَنَّه المعبودُ وحده دون من سواه، قال سبحانه: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠].

والشَّيْطَانُ يسعى لإفسادِ فطرِ الخلق؛ لِيَحْرِمَ العبادَ من رضا ربِّهم عنهم، ومن النِّعيمِ المقيمِ المعدِّ لهم في جنَّاتِ عدن، قال عليه الصَّلَاةُ

والسَّلام: «قال الله ﷻ: إني خلقت عبادي حنفاءً كلَّهم، وإنَّهم أتتهم الشَّياطينُ؛ فاجتالَتْهم عن دينهم، وحرَّمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتْهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً» (رواه مسلم)، يدعو إبليسُ الخلقَ إلى الوقوع في أعظم ذنب يُعصى الله به، سئل النَّبيُّ ﷺ أيُّ الذَّنْبِ أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» (متفق عليه)؛ فعبَد كثيرٌ من النَّاس غير الله، كما قال سبحانه: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الرعد: ١].

ومن آثار عدم الإيمان: أن كلَّ عمل يُعملُ - وإن كان صالحاً - فإنَّه لا يثاب عليه؛ لفقدان أصل الدين، قالت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: يا رسول الله! إنَّ ابنَ جُدعانَ كان في الجاهليَّة يصل الرِّحْم ويُطعم المسكين، فهل ذاك نافعُه؟ قال: «لا ينفعه، إنَّه لم يقل يوماً: ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين» (رواه مسلم).

وهذا الذَّنْب سببٌ لسخطِ الله وحلولِ الذَّلَّة والمَسْكنة لمن فعله، قال ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَاهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الأعراف: ١٥٢]، وصاحبه يتقلَّب في كروب وهموم وأحزان، قال جلَّ شأنه: ﴿وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ويمنعه من دخول الجنَّة ويخلِّده في النَّار، قال جلَّ شأنه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢].

ولئلا يقع العبادُ في شريك الشَّيطان ويُسخطوا ربَّهم ويُخلدوا في النَّار؛ أرسل الله لكلِّ أمةٍ رسولاً يُحذِّرهم من دعوة الشَّيطان، ويأمرهم بعبادة الرَّحمن، وأنزل الكتب، ودعا إليه في أكثر آيات القرآن، وجميع ما في القرآن دالٌّ عليه، وأوَّل أمر في كتاب الله هو الأمرُ به، قال جلَّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١] - أي: وخذوا ربَّكم -، وأوَّل نهي يتلوه قارئ القرآن هو النهي عن ضده ﴿فَلَا

تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢٢﴾، وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن؛ لاشتمالها على التَّوْحِيدِ، وأعظم آية في كتاب الله ما اشتملت على وحدانيته - آية الكرسي - .

ومكث النَّبِيُّ ﷺ بعد بعثته يدعو إلى توحيد الله عَشْرَ سنين، لا يدعو إلى شيءٍ سواه، ثمَّ تابعت عليه الشَّرَائِعُ فكان يدعو إليها مع التَّوْحِيدِ إلى مماته، وكان يقول في صباحه ومساءه: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دين نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى ملة أينا إبراهيم حنيفاً مسلماً، وما كان من المشركين» (رواه أحمد)، وكان يستفتح يومه بالتَّوْحِيدِ فيقرأ في ركعتي الفجر بالكافرون والإخلاص، ويختمه به فيقرأ في الشَّفَعِ والوتر بالكافرون والإخلاص .

ووصَّى به أمته، أتى أعرابيُّ إلى النَّبِيِّ ﷺ فقال: دلَّني على عمل إذا عمِلته دخلتُ الجنة قال: «تعبُدُ الله ولا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصَّلَاةَ المكتوبة، وتؤدِّي الزَّكَاةَ المفروضة، وتصومُ رمضان» (متفق عليه)، وكان يأمر أصحابه أن يبايعوه على عبادة الله وحده، قال عوف بن مالك رضي الله عنه: كنَّا عند رسول الله ﷺ ثمَّ قال: «ألا تبايعون رسولَ الله؟ قلنا: فعلام نبايعك؟! قال: على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس» (رواه مسلم) .

وإذا بعث الدُّعَاة إلى الأمصار: يأمرهم أن يبدؤوا بالدُّعْوَةِ إلى التَّوْحِيدِ، بعث معاذاً إلى اليمن وقال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب؛ فليكن أوَّل ما تدعوهم إليه: شهادةُ ألا إله إلا الله، وأنَّ محمَّداً رسول الله» (متفق عليه)، وإذا جاءه وفدٌ من الوفود علَّمهم التَّوْحِيدِ، أتاه وفد عبد القيس فقال لهم: «أتدرون ما الإيمانُ بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: شهادةُ ألا إله إلا الله، وأنَّ محمَّداً رسول الله...» (الحديث رواه البخاري) .

وخاف الرُّسلُ على أبنائهم اتَّبَعَ الشَّيْطَانِ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، قال الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَجْبُنِي وَيَتَىٰ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، والنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ خافه على أمته فقال: «أخوف ما أخاف عليكم: الشُّرْكُ الْأَصْغَرُ، فسئل عنه؟ فقال: الرِّياء» (رواه أحمد)، وهو من حقِّ الله على العباد، قال النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا معاذ! أتدري ما حقُّ الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: حقُّ الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً» (متفق عليه).

ويقربُ العبدَ من الجنَّةِ ويباعدهُ من النَّارِ، جاء أعرابيٌّ إلى النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: يا رسول الله! أخبرني بما يقربني من الجنَّةِ ويباعدني من النَّارِ؟ فنظر النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ في أصحابه ثمَّ قال: «لقد وُفِّقَ - أو لقد هُدي - قال: كيف قلت؟ قال: فأعاد، فقال النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تعبدُ الله لا تشركُ به شيئاً، وتُقيمُ الصَّلَاةَ، وتؤتي الزَّكَاةَ، وتصلُّ الرَّحْمَ» (متفق عليه).

ولا سعادةَ في الدُّنيا والآخرةِ إلا به، قال عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا» (رواه أحمد)، ومَنْ كانت خاتمته على الشَّهادةِ دخل الجنَّةَ، قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من كان آخرُ كلامه لا إله إلا الله عند الموت؛ دخل الجنَّةَ» (رواه مسلم)، ومن مات عليه دخل الجنَّةَ ونجا من النَّارِ، قال النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من لقي الله لا يشركُ به شيئاً؛ دخل الجنَّةَ، ومن لقيه يشركُ به؛ دخل النَّارَ» (رواه مسلم).

وأعمالُ الموحِّدين تتفاضلُ بتفاضلِ ما في القلوبِ من الإيمانِ والإخلاصِ، وأعزُّ ما يملكُ المسلمُ هو توحيدُه لربِّه، وأهمُّ ما عليه: حفاظه عليه من البطلانِ، أو القوادحِ، أو النَّواقصِ الواردةِ عليه، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «التَّوْحِيدُ الطُّفُّ شَيْءٌ وَأَنْزَهُهُ، وَأَنْظَفُهُ وَأَصْفَاهُ، فَأَدْنَى شَيْءٍ يَخْدِشُهُ وَيَدْنِسُهُ وَيؤثِّرُ فِيهِ، فَهُوَ كَأَبْيَضِ ثَوْبٍ: يؤثِّرُ فِيهِ أَدْنَى أَثَرٍ، وَكَالْمَرَاةِ الصَّافِيَةِ جَدًّا: أَدْنَى شَيْءٍ يؤثِّرُ فِيهَا».

والله ﷻ أوحى لرسله أَنَّهُ إِنِ وَقَعَ مِنْهُمْ شَرِكٌ؛ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ، فكيف بغيرهم؟! قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِن أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥]، ولذا خاف إبراهيم عليه السلام من الشُّرك، فدعا ربَّه - وهو بيني الكعبة - : ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وإذا كان الخليل يخشى على نفسه الشُّرك فغيره أولى .

وتعليمُ الأبناءِ أصلَ دينهم، وسؤالهم الدائمُ عنه؛ هو نهج الرُّسل، يعقوبُ عليه السلام - وهو في نزح الرُّوح - يسألُ أبناءه عن توحيدهم ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣]، ونبينا محمد ﷺ يسألُ جارية صغيرة «أين الله؟ قالت: في السماء» (رواه مسلم)، ومدارسهُ كتبُ الاعتقادِ السليمة، وملازمةُ حلقِ أهلِ العلم؛ من أسباب الثَّبات، قال ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلُّوا: كتاب الله وسنَّتي» (رواه الحاكم) قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: «أهمُّ ما عليك: معرفةُ التَّوحيد قبل معرفة العبادات كُلِّها حتَّى الصَّلَاة»، والدُّعاء بالثَّبات على الدِّين سبيلُ الأنبياء، قال يوسف عليه السلام: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، وتعظيمُ توحيد الخالق، وإدراكُ أهمِّيَّته، والبعدُ عن الشُّبهات؛ من أسباب الهدى .

أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبِكُمْ وَمُتَوَلِّكُمْ﴾ [محمد: ١٩] .

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم . . .

الخطبة الثانية

الحمد لله على إحسانه، والشُّكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليمًا مزيداً.

أيُّها المسلمون:

التَّوْحِيدُ أعظم ما تزكو به النَّفس، ولا يتحقَّقُ إلا بالكفر بجميع ما يُعبَدُ من دون الله - وهو معنى الشَّهادة -، قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام: «من قال: لا إله إلا الله، وكفَّرَ بما يُعبَد من دون الله؛ حَرَمَ ماله ودمه، وحسابه على الله ﷺ» (رواه مسلم)، ومَنْ حقَّق التَّوْحِيد: زالت كروبه، ونال رضا ربِّه، وقُبِلت أعمالُه، وضوعفت أجورُه، وكانت حياته طيِّبة، وغُفرت ذنوبُه، ودخل الجَنَّةَ بغير حسابٍ ولا عذابٍ، ولا نعمةَ أعظم من نعمة الدِّين والثَّباتِ عليه.

ثمَّ اعلموا أن الله أمركم بالصَّلَاة والسَّلَام على نبيِّه . . .